

تفسير ابن كثير

وَلَا تُمَدِّنْ عَيْنَكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ

يقول تعالى لنبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه : لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وأشباههم ونظرائهم ، وما فيه من النعم فإنما هو زهرة زائلة ، ونعمة حائلة ، لنختبرهم بذلك ، وقليل من عبادي الشكور. وقال مجاهد : (أزواجا منهم) يعني : الأغنياء فقد آتاك [الله] خيرا مما آتاهم ، كما قال في الآية الأخرى : (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم) [الحجر : 87 ، 88] ، وكذلك ما ادخره الله تعالى لرسوله في الدار الآخرة أمر عظيم لا يحد ولا يوصف ، كما قال تعالى : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) [الضحى : 5] ولهذا قال : (ورزق ربك خير وأبقى) . وفي الصحيح : أن عمر بن الخطاب لما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المشربة التي كان قد اعتزل فيها نساءه ، حين آلى منهم فرآه متوسدا مضطجعا على رمال حصير وليس في البيت إلا صبرة من قرظ ، وأهب معلقة ، فابتدرت عينا عمر

بالكاء ، فقال رسول الله : " ما يبكيك ؟ " . فقال : يا رسول الله ، إن كسرى وقيصر
فيما هما فيه ، وأنت صفوة الله من خلقه؟ فقال : " أوفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟
أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا " . فكان صلوات الله وسلامه عليه أزهد
الناس في الدنيا مع القدرة عليها ، إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا ، في عباد الله ،
ولم يدخر لنفسه شيئا لغد . قال ابن أبي حاتم : أنبأنا يونس ، أخبرني ابن وهب ، أخبرني
مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد؛ أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : " إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله من زهرة الدنيا " . قالوا : وما
زهرة الدنيا يا رسول الله؟ قال : " بركات الأرض " . وقال قتادة والسدي : زهرة الحياة
الدنيا ، يعني : زينة الحياة الدنيا . وقال قتادة (لفتنهم فيه) لنبتيهم .